مقطع

## ما أودّ الاعتراف به

# فصل من العبر المرحة

من بين الحيوانات التي لا تَعصي إلا نادراً، ما يُسَمّى «الآليات الجينيَّة»، التي تَتبَع غريزةً مُبرمجة، منذ بدء النَّوع: ولهذا السبب، ليسَ لها من تاريخ سوى التطوّر. نحن نَتَحوّل، نَتَقدّم ونتراجَع. نحن نبتكرُ المستقبل، لأنّنا نَعصي. أهذا إذن هو مُحَرّكُ التاريخ؟

**ميشيل سار**

**المَعصية**

بما أنَّ الله تعالى يهبُنا، دون توقّف، حريّة معصيته، فنحن نعتبر الإله بمثابة أبينا. فبمجرّد أن استقرّ آدمُ وحوّاء في النّعيم الأرضيّ، بادرا إلى أكل التفّاحة وبذْرها، حتى يتركا بسرعةٍ، محلّ الشّهوات هذا، فرارًا منه نحو آفاق التاريخ الغامضة. وبمجرّد الوصول إلى اللغة، شرع هذا الإنسان الصّغير في قول: لا. وكلُّ أولئك الذين يرفعونها، من بينكم، كانوا قد تعلّموها بالرغم عَنهم. وعلى عكس ما يُقال أحيانًا، تحلُّ هذه المعصية السّعيدة الكثيرَ من المشاكل. فبعد أن رأينا حماقاتٍ سوداء وتجاربَ لا تصلح إلا للقليل، ثمة جيلٌ عادي يعرقل التاريخ، بالشكل الذي لا نرى فيه، في وقتٍ ما، كيف الخروج من هذا المأزق. فقط بعض الأطفال الساخرين يحلّون الوضع عندما يأخذون الأشياء بشكلٍ مختلف. ومن بين الحيوانات التي لا تَعصي إلّا نادرًا، ما يُسمّى: «الآليات الجينيّة»، التي تتبع غريزةً مُبرمجة، منذ بدء النّوع: ولهذا السبب، ليس لها من تاريخ سوى التطوّر. نحن نتحوّل، نتقدّم ونتراجع. نحن نبتكر المستقبلَ، لأنّنا عندما تختلّ برمجتنا، نَعصي. أهذا إذن هو مُحرّك التاريخ؟

**المشاكسة**

كلُّ هذه المقدمة المُملَّة، أمشاجٌ من علم اللاهوت ومن التّاريخ الطبيعيّ، فقط من أجل تمرير صعوبة تخنق بداية مقالتي. نعم. عندما فارقتُ مَعهدي القديمَ، منذ ما يزيد على نصف قرن، تركتُ فيه معصيةً أودُّ الاعتراف بها. فعندما وصلتُ إلى سنٍّ متقدمةٍ، سَأتدارك هذا التأخّر. فَهذا يفضي إلى عواقبَ أخفّ. ففي بعض الطوائف المسيحيّة، يوجد تقليد الاعتراف الأخويّ: في أوقاتٍ منتظمةٍ، المنفردون يَعترفون أمام المجموعة بعدولهم عن الصّراط السّوي. فهذا، إذن، اعترافي المُتأخر على الملأ: فقد عَصيتُ، ولم أنقطع عن التصرّف بمثابة مُشاكسٍ قويٍّ، يخشاه كلُّ أساتذته. أرجوكم الإنصاتَ، منذ افتتاح هذا الكتاب، هذا اعترافٌ أب-كبير.

فأنا أعترف، بكل لَـذّة، بمعارك وسائد، التي تَناثر، في بُرهةٍ وجيزةٍ، ريشُها في كلّ الاتجاهات، مغَطّية معها فضاء المَبيت الكلّي، نراها قريبةً، تكاد تكون منعدمةً، وتثير فينا ضحكًا، تؤلم بواطِنَنا برُضوض، ونتذكّرها، على الأقلّ، لمدَّةِ أسبوع. نعَم كنت «مَسجونَ الفَصل»، كما كنّا نقوّل وقتَها، كلَّ يوم أحدٍ. وحتى يكونَ التقديرُ صائبًا، أغلبَ أيّام الخميس أيضًا. فقد طُردتُ، لعدةِ أسابيع، سنة الباكالوريا، ولم يتداركوني، في آخر لحظة، إلا على الأمل الكاذب، بتحسين إحصائيّات المعهد الثانويّ في نِسَب النّجاح.

سأعترف، فضلاً عن ذلك، بأنني نَظمت مرّةً أخرى، في المَبيت مسامراتٍ لا تُنسى، حيث كان كلُّ واحدٍ منّا، رغم أنّ الضّوءَ مُنطفئٌ، يقلّد أصواتَ الدّيك والخنزير والبقرة والفَرس والبطّة والإوزّة، دون أن ننسى أصوات المزارعين والخمَّاسة، الذين بصوتهم الثخين، يَأمرونَ، في لهجاتِهم المحليّة، الدجاجاتِ بالدخول إلى الساحة الوسطى، حتى تَبيض. أعترف بهذا، بكلِّ غُرور. فقد كنتُ أديرُ، بتألّق، توزيع الأصوات، شديدة الحساسيةَ، لطير غينيا والدّيك الرومي. رجاءً، لا تسألوني عن شيءٍ. فأنا، إلى الآن، لا أزال قادرًا على محاكاة أصواتِها. ليسَ ثمّة من عَرض موسيقيٍّ، مما نسمّيه: «الموسيقى الكلاسيكية»، قد وَهَبني، طيلةَ حَياتي، مثل هذه اللذات الكبرى، بل مثل هذه السمفونية: محاكاة أصوات الحيوان بكل دقّةٍ. ففي ذلك الحين، كان «المُقيمون» لا يَزالون يمتلكون تَجربة الحياة في الرّيف: كما لو كنّا نعيش فيه. وحتى نقوّي العرضَ، كان المزارعُ يَختار، في جَلَبَةٍ، الخنزيرَ الصغيرَ الذي سيقتله، والذي كان يُسرع بشدّة مطلقًا، أثناءَ سَعيه إلى الفرار، صيحات حادةٍ وموجعة، مثل تلك التي نستَمع إليها في المذابح. ولم يكن القيّم المسكين يَستطيع شيئًا. بمجرّد ما يضيء القاعة، يَبدو هؤلاء المشاغبون صامتينَ وأبرياءَ، يغطّون في نَوم عميق، أو على الأرجح، يَتّظاهرون بذلكَ. فيُعيدُ إطفاءَ الضّوء، وسريعًا ما تعود القاعة إلى الصهيل، والثغاء والهديل والنَّقنقَة. مرافقة هذه الجوقة، يُهيمن العزفُ الفرديُّ لصياح الديكة. أفضل من ذلكَ، في تلك الأزمان الغابرة، ثمة نَظافة مُريبة تشيع في أرجاء روائح رَوث الخيول، وتؤكد نَفحاتها الثّقيلة أنّنا في «وضع تمام».

أعترفُ أيضًا أنني اضطهَدتُ قيِّم المَبيت. فقد كان ينام في ما يُشبهُ البيتَ المغلق، من بين تسعين سريرًا، ملتصقًا بعضُها ببعض، خمسةَ عشر منها لمعهد آجان وخمسون لمعهد مونتاني، في مدينة بوردو، ومائة للويس-الكبير. وكان تحت قيادتي ثمانونَ صيّادًا، يَخرجون، في صمتٍ من تَحتِ مَلاحفهم السَّميكة، في منتصف الليل بالضبط. بأيديهم وسائدُ، أرجلُهم حافيةٌ، تسير على الأرضيّة، دون أدنى ضَجيج، لنلتقي، مثل اللصوص، حول الجزيرة حيث تُوجد السلطة. هوب! وكلُّ الوسائد تَطير، في الهواء، لتسقط وَسَطَ هذه الجزيرة، موقظةً بذلك القيّم الذي كان يُدفن تحتَ جبلٍ كَثيف، ولكنه خفيفٌ، من الوسائد. ريثما يَنهض، وقد عبئ بالريش، ساعيًا للتخلص منه، يقوم وقد فرّ كلّ واحدٍ منّا وعاد إلى عُشّه لينامَ بِعمْقٍ إلهيّ، لم يَرنَا أحد. آه، هؤلاء الإرهابيّون! وهكذا، كانت هذه المداعبة أولى تَجاربي الاجتماعيّة الوحيدة. لم يعلّمني أحدٌ إيّاها، دون شكٍّ. صدّقوني، لقد تلقيْتها في حمضي النووي، الذي تألّف من والديَّ، أو بطريقةٍ غير مباشرة، من الحِكمة الإلهيّة التي تَحرُسنا. وكان أيضًا طُموحي السياسي الوحيد والحقيقيّ، مثل عَقيدٍ على جبهة القتال أو عمدة قريةٍ، يلفُّ الشَّالَ على عُنقه. عَرفتُ كيف أدير جَماعاتٍ من الناس، في صفوفٍ متراصّة، في مشروعٍ دقيق، دون غَضبٍ ولا إساءة، دائمًا من أجل الضَّحك. فإذا رأينا السياسةَ من هذه الزاوية، تبدو لَذيذةً.

(ترجمة من الفرنسية: نجم الدين خلف الله، والمقطع مقتطف من كتاب صدر حديثاً عن منشورات «درج»)

لم أتعلم المشاكسة. صدّقوني، لقد تلقيْتها في حمضي النووي

على عكس ما يُقال، تحلُّ المعصيةُ الكثيرَ من المشاكل



ميشيل سار في 2012 (Getty)

**النص الكامل**
على الموقع الالكتروني

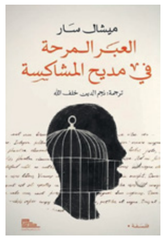

### مفارقة الفيلسوف




كان كتاب «العبر المرحة.. في مديح المشاكسة» آخر ما أصدر الفيلسوف الفرنسي ميشيل سار (1930 - 2019) في حياته. المفارقة أنه ثاني عمل له يصل إلى العربية (بعد كتيبه «الإصبع الصغيرة» / كتاب مجلة الدوحة 2014)، فرغم أن سار أحد أشهر مفكّري فرنسا فقد بقي بعيداً عن اهتمام المترجمين العرب ربما بسبب تخصّصه الأول في فلسفة العلوم، ثم اتكاء تجربته الفكرية على محاورة الرموز العميقة للحضارة الغربية، الدينية والأسطورية.

إضاءة

## إلى حين نتوقف عن إتلاف الشجرة والغابة

# معرض الكتاب ومسجد الملك

بعد أسبوع عدتُ إلى المعرض، وصادفتُ أحد الشّعراء يجلس وحيدًا فوق كرسي في زاوية إحدى دور النشر العربيّة وهو يُداري اليتم بكتابة شيء على الورقة

**حسن بولهويشات**



عمل لـ مقبول فدا حسين

قبل شيوع وباء كورونا، وتحديدًا خلال شهر فبراير/شباط الماضي، حققتُ إنجازًا مهمًا على صعيد مساري الأدبي. وهو إنجازٌ ما زلتُ أتذكره باغتباط مع قليل من تضخّم الذات. يتعلق الأمر بكتابي الأخير، والذي بعتُ جميع نسخه في جلسة واحدة خلال حفل التوقيع بمعرض الدار البيضاء. وهل هناك إنجازٌ آخر ينتظره الكاتب غير نفاد بضاعته أو إصابته بالسرطان؟

صراحة، اندهشتُ أمام هذا الجيش العرمرم الذي لا أدري من أين تدفق أفراده، ووقفوا أمامي كما لو أنّني أوزّع أكياس الدقيق أيام المجاعة. وقد استدعيت من جهتي شرطيًا تكفل بتنظيم الصفوف، فيما أخذتُ أوقع النسخة تلو الأخرى مُنوِّعًا الصّيغ وساكبًا الحنان بين سطوري إلى أن أتيتُ على النسخة الأخيرة بالهمّة نفسها التي وقعتُ بها النسخة الأولى. تذكرّت محمد شكري وهو يوقع «الخبز الحافي» في نادي الكرة الحديدة بالرباط ذات عام بعيد، وذلك بعدما أن تمّ الإفراج عن كتابه لأول مرة من طرف حكومة الاشتراكيين. كان المكان غاصًا بالذين جاؤوا من مختلف مدن المغرب يطلبون الخبز من شكري الذي كان يوزّعه في ذلك المساء على مهل، ومتوقفًا بين حين وآخر كي يدخن سيجارة ويستريح قبل أن يواصل، بينما استثمرتُ أنا قدرتي على تحمل القسوة ووقعتُ خمسمائة نسخة دفعة واحدة.

لا، لا. أنا أكذب. للأمانة لم أوقع سوى نسختين، واحدة لصديق رافقني في السفر، وأخرى لصديقي وديع الذي استضافني في بيته بالدار البيضاء ككلّ مرّة، ثم بعد ذلك جلستُ أتفرّج على نسخ كتابي مدّة قصيرة استعدتُ خلالها بعض الحقائق المؤلمة، قبل أن أتوجه مع الأصدقاء إلى مسجد الحسن الثاني حيث التقطنا صورًا وضحكنا تشفيا في الكتب ورائحتها. هالني هذا الكبرياء وهذا الصمت وأنا أرفع رأسي إلى أسوار المسجد وأضلاع المئذنة العالية. تذكرتُ الملك وهو يطل من التلفاز ذات مساء بعيد داعيًا شعبَه العزيز إلى المساهمة في بناء المسجد ولو بدرهم رمزي، حينها تلقف وزير الداخلية إدريس البصري الخطاب الملكي بطريقته، وأصدر تعليماته الصارمة لأعوان السلطة والشيوخ لجمع التبرعات من المواطنين في أقل من أربعين يومًا. لم يكونوا رحيمين بالمواطنين البؤساء الذين وجدوا أنفسهم يدفعون على مضض الدرهم مضروبًا في مائتين في أحسن حالات عطف أعوان الوزير، بل سمعتُ بأن الشّيوخ في البوادي كانوا أكثر خبثا مع الفلاحين الذين يرتعبون لمجرد مرور سيارة الدرك الملكي. تذكرتُ كيف أن الحياة كانت مظلمة وقاسية، بلا طرقات ولا كهرباء، ولا إنترنت ولا صحون هوائية!

بعد أسبوع عدتُ إلى المعرض، وصادفتُ أحد الشّعراء يجلس وحيدًا فوق كرسي في زاوية إحدى دور النشر العربيّة وهو يُداري اليتم بكتابة شيء على الورقة. فكّرتُ في أن أدفع عنه الحرج، وأطلب منه أن يوقع لي نسخة من كتابه، غير أنني تراجعت، وقلتُ في نفسي لا بدّ له أن يمضغ المذلة مثلي، وبالتقسيط كي يتوقف عن إتلاف الشجرة والغابة.

(كاتب من المغرب)

فكّرتُ في أن أدفع عنه الحرج وأطلب منه أن يوقع لي نسخة من كتابه



إطلالة

## ثقافة «المنتصر» في وجه «المهزومين»

# قتلى غير ماديّين

تعيدُ الفنون توصيف الأدوار التي عرفها الناس وقت الحرب في عالم تخيّلي بالإمكان أن يحدثَ فيه كلُّ شيء، حتى النجاة بالإمكان لها أن تحدث

**سومر شحادة**

تُراكم سنواتُ الحرب لدى من عاشها وخبرها قصصاً يوميّة عن الفقدان واعتياد القسوة، ويعيش الذين استطاعوا البقاء أحياءً محاولاتٍ مضنية من أجلِ التعافي ممّا خبروه، ليعودوا بشراً أصحّاء؛ يستقبلون الأيام بقلوبٍ خالية من الخوف والضغينة.

كثيراً ما يتداول الناس تحت القصف كلمات السلامة العامّة، وهي كلماتٌ، في الوقت الذي تجمعهم فيه إلى لغة آمنة، ترميهم إلى لغة التنبيه والحذر وقراءة الإشارات.

وتُروى حكاياتٌ كثيرة عن أشياء أنقذت أرواحَ بشرٍ؛ كأنّ يتخفّى أحدهم وراء الستارة كي يتجنّب بندقيّة القنّاص، أو أن يحتمي بالعمودِ الإسمنتي جرّاء انهيارِ جانب من الجدار.

نسمع رواية أحدهم عن جوّالِه الذي صمدَ برفقتهِ حتى وصولهِ إلى مكانٍ آمن، ومن ثمّ أصاب الجوّال عطبٌ قاتل، كما لو كان لهُ وظيفة واحدة، أن ينقذ حياة صاحبهِ. ونجد بين المقاتلين من يُعلّق رصاصةً إلى صدرهِ، وكانت قد سقطت إلى جوارهِ، فهي تمثّلُ بالنسبة له فرصة جديدة للعيش، وواحدة من غنائم النجاة. حتى بالنسبة للمقتولين، تأخذ الأشياء التي كانوا يتعاملون بها، يرتدونها أو يحتمون بها أو يستخدمونها، دلالةً في أوقاتِ الحرب، فهي أغراضٌ باتت عُرضةً للسرقة بموت أصحابها، وربما يستخدمها بشرٌ آخرون، لينجوا بدورهم. لكن في مقابر جماعيّة، يُعْرَف المقتولون بسبب لون السترة، أو الحذاء. إذ تأخذ الثيابُ وقتاً أطول لتتحلّل ممّا تأخذه جثث البشر.

إذاً توجدُ طرقٌ كثيرة للنجاة من سبل القتل المادي أو الاندثار المادي للإنسان، إمّا عبر مصادفات قدريّة، أو بالعمل على حماية الناس والكشف عن آثارهم. إلا أنّ النجاة من طرق القتل غير المادي التي تلي الحروب أو ترافقها، هو أمرٌ شاق ومعقّد، مجالهُ النفوس الإنسانيّة وطرق استجابتها وتخزينها للألم، خصوصاً أمام نتائج تسعى لتعزيز ثقافة «المنتصر» في وجه «المهزومين». كثيراً ما يُلقى على الفنون دور إعادة تعريف الحقوق وتأكيدها أو الإشارة إلى التمايز بين القاتل والقتيل. هذا العبء يحملهُ الفنّانون، أكثر من سواهم، كون عملهم ينصبُّ على تلك الأدوات التي تخاطبُ وعي البشر وأحاسيسهم، وتضيءُ جوانبَ مُعْتِمَة في أعماقهم، لتعيدَ ترميم ما هُتِكَ من ذاكرة الإنسان ووعيه بحقوقهِ.

يعي «المنتصر» خطورة الفنون لذلك يحاول إحكام السيطرة على الثقافة، فهي سبيلٌ يلجأ إليها من خسر كلّ شيء، أثناء محاولة البقاء حيّاً. هي إلى جانب وجوب إعادة الحقوق وتحقيق الكرامة والعدالة واحدة من الطرق التي تعيدُ البشر أصحاء بعد نجاتهم. فكلّ «منتصر» يريدُ لـ «انتصاره» أن يظهرَ انتصاراً مُبرَماً. وعليه، فأن يرمّم شعبٌ منكسرٌ ذاكرتَهُ عبر الرواية والشعر والسينما، وشتى أنواع الفنون؛ معناه أنّ ذلك الشعب يحاول النجاة من مرارة الإقصاء الذي تَعرض له بصوره الأشد فتكاً.

تعيدُ الفنون توصيف الأدوار التي عرفها الناس وقت الحرب والوظائف التي جلبتها معها في عالمٍ تخيّلي بالإمكان أن يحدثَ فيه كلُّ شيءٍ، حتى النجاة بالإمكان لها أن تحدث. ويمكنُ في زمنٍ ما، أن يدرك المهزومون أنّ انتصارهُم الأمثل قد كان في تجنّب التشبّه بسيرة القتلة في الإقصاء.

(كاتب من سورية)

يعتبر «المنتصر» الثقافة خطرًا ويحاول إحكام السيطرة عليها

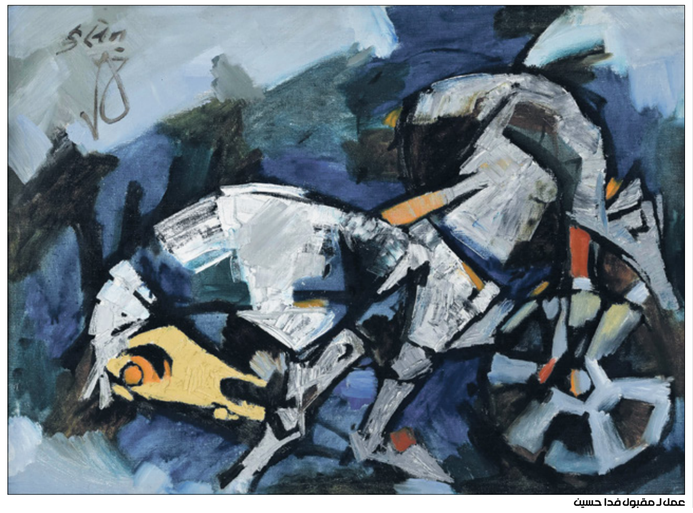



منذر جوابرة، من معرض «أجساد مهاجرة»

## فعاليات

حتى العاشر من الشهر المقبل، يتواصل في **مركز كتارا للفن** بالدوحة معرض **كريستال آرت** الذي افتتح في الخامس عشر من الشهر الجاري. يشارك في المعرض أحمد العمادي، وفهد العبدلي، وعبد الله أنواري، ومنى البدر (الصورة) ولولوم، وبشير محمد، ومحمد الحمادي. تشترك الأعمال في استخدام مادة الريزن كوسيط فني.

يتواصل حتى التاسع من أيار/ مايو المقبل، معرض الفنان الفوتوغرافي **دون مكولين** (1935) في **متحف تيت** بمدينة ليفربول البريطانية والذي افتتح في منتصف أيلول/ سبتمبر الماضي. يتضمّن المعرض حوالي مئتين وخمسين صورة التقطها مكولين أثناء تغطيته الحروب والنزاعات في بلدان عديدة مثل سورية وفيتنام ولبنان وإيرلندا الشمالية والهند ودول أفريقية على مدار ستين عاماً.

تنطلق عند التاسعة من صباح الأربعاء المقبل فعاليات الدورة الأولى من **معرض سوهاج للكتاب** في جامعة المدينة التي يحمل اسمها، و تتواصل حتى الثاني من الشهر المقبل. يشارك في الدورة ثلاثون ناشراً ومكتبة وجامعة مصرية ويكرّم المنظّمون الروائي **أحمد خالد توفيق** (1962 - 2018/الصورة).

حتى الثاني من الشهر المقبل، يتواصل معرض **الحياة بذاتها** للفنانة التشكيلية المصرية **رشا سليمان** (1970) في **متحف الفن المصري الحديث** بالقاهرة، والذي افتتح الثلاثاء الماضي. يشكّل المعرض امتداداً لمعارض ثلاثة سابقة أقامتها الفنانة وهي «حوار الصبار» 1998 و«باليرينة الصبار» 1999 و«أبجدية الأشجار» 2001.